عمامة للمملوك
طربوش للآغا
وقداس لبيروت

لا خُبزَ غير وداعة الأموات

فليكن الإدام
وَشَلاً على الأحداق خلف الدمعة المتحجِّرةْ
ولكِ المجاعةُ والسلام
يا أُسرتي المغلوبةَ المغلولةَ المتكبِّرةْ
القمحُ . هذا العام . منذورٌ لحربِ جلالةِ السلطان
حسبُ المؤمنين رضا جلالته ووعدٌ بالذُرةْ

ولجنده لبنُ القطيع ولحمُهْ
ولخيله ذهبُ الخلايا الخيّرهْ
والحمد لله الذي وهب المنازلَ قنطرةْ
بردُ الشتاء يطولُ
والأعمار تقصرُ
والمصائرُ مضمرةْ
لا بد من حرب وقد شاخت نساء جلالة السلطان
واقتضت السبّايا مجزرةْ ..

من أين نبدأ سيّدي المملوك ؟
نبدأ من مجال السيف
في أعناق من كَفروا بنعمتنا
ومن نكثوا ببيعتنا
ومن خرجوا على فَرَمان طاعتنا
ونبدأ
باقتلاع خواتم السلطان من يده القتيلةْ
وبحزِّ أعناق الحريم

عن الجواهر واللآلىء
كي تباركَها عمامتنا الجليلةْ ..

من أين نبدأ .. سيّدي الآغا ؟
سنبدأ من دم المملوك
نبدأ من بدايات المجون
ومن نهايات الجنون
ومستحيل المغفرةْ
لنعيدَ للطربوش حُمرتَهُ
وللقفطان خضرتَهُ
وللسلطان هيبتَهُ وجزيتَهُ
وللقتلى .. رخام المقبرةْ ..

...

من أين نبدأ سادتي الشهداء والجرحى ؟
سنبدأ من عذاب مشوّهي الحرب الصغارْ .
ومن الضحايا والسبايا
تحت رايات الهلاك

وبين أسماء الدمارْ .

من أين نبدأ ما انتهينا ؟

البدءُ

بسم الله

قداسٌ لبيروتَ التي انبلجت على خيل العربْ

نجديةً حسناءَ

هابطةً إلى كنعان

صاعدةً إلى لبنان

فاتحة بلا سيف ولا رمحٍ

مدجَّجةً بأصدافٍ تُهلِّل للخشبْ

بيروت ذاهبة على سفن من الصحراء

بيرقُها أَلِفْباءُ المشارِقِ والمغاربِ

صوتُها هزجُ الزجاج على صدور الغيد

موغلةً إلى جُزُر الذَهبْ

بيروت . بنتٌ روضتْ خيلَ الرياح الهوج

وانخطفتْ بعاصفةِ اللهبْ

بيروت سيدة الغِوى
بيروت كاهنةُ الغَضَبْ
ظمئتْ

فمنذا يشتري دمها المعتق في السرابِ
بكوز ماءْ
ظمئتْ
لسهرَتِها وسكرَتِها ومَيْسَتِها على زندِ الطربْ
والكأسُ قاحلةٌ
وما في الكرمِ شوقٌ للعنبْ
بيروت .

يا سبحان من يَهبُ الهباتِ كما يشاء
ويستردُّ متى يشاءْ
ويَسْتَبِدُّ بما وَهَبْ .

(بيروت مرهَقة من الترحالِ في اعماقِها
والنزف في آفاقها
بيروت أدركت الرضا الأغلى

وأدركها التَعبْ
كتبتْ حروفَ الله والإنسان
واجترحتْ قيامتَها
بحرفٍ مقتضَبْ)

لشقائق النعمان أن ترتاح
في أفياءِ أرز الله
للدوريّ أن يأوي لعشٍّ
آمن من شهوة الأفعى
وأن يشتاقَ قرميدَ الليالي المُقمِرَةْ
ولقلب عشتاروت أن يرتاح
من ضَوضاءِ طائرة تدمِّرُ وردةً
وقذيفةٍ تلقي غبارَ الطَّلْعِ
فوق مجنزرةْ

(ذاب الجراجمةُ القدامى في ثلوج العسف
وانزلقوا وراء الشمس

عن عصيان صنّين العنيدْ
ذابوا وعادوا من جديدْ
في صورة الثلج القديم
ومحنة الثلج القديم
ولعنة الدَّم للوريدْ
ذابوا .. وعادوا من جديد ..)

يا أيها الموتى
أُشاطِرُكم حياتي الباقية
فاستسلِموا للحُب !
وانتزعوا أمامَ البحرِ والصحراء
أقنعة الوُجوه القاسية
يا أيها الموتى الأحبةُ
كيفَ أرشدُكم إلى نبعي
وكيفَ أُزيحُ عن أفواهكم
غَضَبَ الكؤوسِ الدامية ؟
لا تجرحوا ظلَّ الصنوبرْ

لا تفرحوا بجنود قيصرْ
يا أيها الموتى الأحبةُ
وادخلوا بيتي الحرام
ومالحوا أهلي الكرام
وصالحوا لغة البدايات الأصيلةْ ..

لحبيبتي بيروت قُدَّاسٌ
ونذرٌ للشهادة والسلام
ووردة حمراء من وجعي
على وجع الجديلةْ ..
(بابٌ على الصحراء مفتوحٌ
لأبواب على الأشلاءِ موصدةٍ
لأبواب تصدُّ البحر
غرباً تلو غربٍ تلو غَرْبْ
ما زال للصحراء قلبْ
ويظلُّ يخفقُ من لواعِجها
ويشرقُ في هوادجها

ويُبرق بيرقاً وقصيدة وجنونَ شَعْبْ

بيروت فانتفضي
وقومي من رمادِكِ يا آبنةَ العنقاء
يا شرفَ الأوائلْ

بيروت
يا عار الطوائف والحمائلْ
والعشائر والقبائلْ

بيروت
يا حلماً وحيداً
حوله مليون قاتلْ ؟

بيروت
قومي من رمادِكِ يا آبنة العنقاء
عشتاروت

يا بيروت
يا بنتاً مدلَّلَةً

تصيحُ بحزنها الدمويِّ
أرمَلةً تصيحُ :
(أنا . أنا جَمَلُ المحامِلْ
وأنا . أنا جَمَل المَحامِلْ !!) .

بيروتُ
يا نوراً تحنُّ إلى سفائِنِه
منارَاتُ السواحل !!